اشكال الحب

المؤلف الفيلسوف الأمريكي بيتر كريفت

ترجمة المطران حبيب هرمز

يقول اللاهوتي الأمريكي بيتر كريفت ان كلمة الله تخبرنا مباشرة ان الحب هو اعظم شيء (1 كو 13:13). فالكتاب المقدس لا يشير الى الله كعادل او جميل او بار على الرغم من انه كذلك، بل محبة (1 يو 4: 8). فالحب هو جرهر الله وكيانه الكلي. وكل شيء به هو محبة حتى عدالته هي محبة. ومار بولس يحدد عدالة الله في رومية (1: 17) من خلال الصليب الذي هو فعل حب عظيم له رغم كونه اعظم ظلم حدث فيي كل التاريخ.

ولكن لا توجد كلمة يساء فهمها في مجتمعنا اكثر من كلمة حب. لعل من اكثر الكتب المفيدة للقراءة هو للكاتب (سي. اس. لويس) بعنوان (اشكال الحب الأربع The Four Loves). انه يميز ما بين (الأكابيه Agape) اي حب المسيح الذي علمه واظهره، والشعور الطبيعي feeling، والحب الحسي (الجسدي)Eros ، و(الفيليا) اي حب الصداقة. فأكابيه او المحبة هي اعظم شيء في العالم.

إن كلمة (اكابيهἀγάπη agape) والتي تعني المحبة، للأسف، تعني اليوم منح اشياء الى المتسولين. وانها تعني ربما الحب الجسدي (إيروسEros) او الشعور بالمودة تجاه الآخر او حب غامض. وربما من الضروري التأكيد على الكلمة اليونانية (أكابيه) حتى لو كانت الكلمة تذكر في المناهج التعليمية وذلك كي لا نفقدها لأنه هناك سوء فهم كبير في مجتمعنا.

إن سوء الفهم هو الخلط بينها وبين المشاعر. مشاعرنا ثمينة ولكن المحبة اثمن. المشاعر تأتي الينا، لا ندري من اين او مجهولة المصدر، بينما المحبة تخرج من داخلنا اي هي ايجابية لأنها بإختيارنا الحر. نحن لسنا مسؤولين عن مشاعرنا – لا يسعنا الا بما نشعر– ولكننا مسؤولون عن محبتنا او عن النقص فيها، مسؤولية الى الأبد، لأن المحبة تأتي من داخلنا، المشاعر تأتي من الجو، أو الطقس، أو بعد هضم الغذاء، أو من نسائم الربيع، بينما الحب ياتي من مركز النفس، حيث الكتاب المقدس يدعوه بالقلب (وهي كلمة اخرى قمنا بتخفيفها الى مشاعر. مثلا التروق (من يروق) هو شعور. ولكن المحبة (أكابيه) هي اكثر من تروق. فقط الغبي ممكن ان يأمر شخصا ان يشعر بطريقة معينة. فالله يأمرنا ان نحب، والله لا يقبل بهذا التصرف.

كان ليسوع مشاعر مختلفة نحو الناس. ولكنه احبهم جميعا حبا مطلقا وعلى قدم المساواة. ولكن كيف يمكن ان نحب شخصا ما اذا كنا لا نرغب بذلك؟ إن اسهل طريقة نفعلها هي حب ذواتنا في كل الأوقات. لا نملك مشاعر العطاء والراحة تجاه ذواتنا دائما، لأنه احيانا ما نشعر اننا حمقى او اغبياء او اشرار. ولكن نحب انفسنا ونسعى الى مصالحنا دائما، وفي الواقع نشعر بالكراهية تجاه انفسنا ونوبخها

لأننا نحبها ونريد ان تكون افضل لذلك لا نصبر لسيئاتنا. نحن نقع في الحب لا المحبة. نحن نرتفع بالمحبة.

الله محبة، والمحبة هي ليست الشعور. لذلك الله ليس له شعور. وتلك لا تعني ان محبته محبة باردة ومجردة. عكس ذلك تماما :الله هو الحب نفسه، والشعور هو تصغير وتقنين الحب يقبل بطريقة سلبية. الله لا يمكن أن يقع في الحب بنفس السبب الذي لا يمكن للماء ان يكون رطباً: لأنه اصلا رطبWet . الحب في حد ذاته لا يمكن أن يتلقى حباً بطريقة سلبية، ولكن فقط (كفعالية شخصية) . الله محبة في الفعل وليس الحب في الأحلام . المشاعر تشبه الأحلام: سهلة وسلبية وعفوية، بينما المحبة صعبة وثمينة مثل اللؤلؤة .

هذا يقودنا إلى سوء فهم علائقي ثاني. موضوع المحبة هو دائما فرديا ملموسا، وليس بعض التجريد المدعو إنسانياً (مثلا حب الإنسانية). حب البشرية هو سهل لأن البشرية لا تفاجئك بطلباتها غير الملائمة. أنك لا تجد الإنسانية على عتبة دارك، تتسول ورائحتها كريهة.

يؤمرنا يسوع ان نحب لا الإنسانية ولكن قريبنا، وكل اقرباؤنا، والأفراد الحقيقين الذين نلتقي بهم، تماما كما كان يفعل . لقد مات لأجلي ولأجلك، وليس لأجل البشرية . فعلى الصليب أسماءنا لا اسم "الإنسانية ." عندما دعا يسوع نفسه الراعي الصالح، وقال انه "يدعو خرافه الخاصة بأسماء " (يو 10: 3). فالإنجيل لا يصلنا في صحيفة ذات غلاف Xeroxed، مكتوب عليها"عزيزي الساكنمثلا" ، ولكن في مظروف بخط اليد موجهة شخصيا لك، كرسالة حب من الله لك وحدك . يقول احد القديسين ان يسوع كان يفعل كل ما فعل ويحتمل كل شيء عانى حتى لو كنت الشخص الوحيد الذي كان قد أخطأ، فقط لأجلك . وكان قد فعل أكثر من ذلك، حيث لا يوجد "اذا"، واقع . عيناه المحبة رأتك من على الصليب . وكل جراحاه الخمسة كانت شفاه تنطق باسمك.

الثالثة تتعلق بسوء فهم الحب من خلال فهم معنى العطف الذي هو احدى سماته. فاللطف هو الرغبة في تخفيف معاناة الآخر. الحب هو الإرادة في خير الآخر. فمن الممكن لأب لا يملك الحب ان يضرب طفله. بينما الله هو أب.

فمن المؤلم ان لا يكون الله لطيفاً لأنه لا يزيل الآلم على الرغم من قدرته على ذلك. حقيقة، هذا الواقع ان الله هو المعتني ويستطيع ان يزيل المعاناة من هذا العالم ولا يفعل ذلك؛ صارت حجة بيد غير المؤمنين (او الملحدين) ضده. الحجة الأولى للإلحاد تتم بسبب ضبابية العلاقة بين الحب والعطف.

كلما نحب شخص ما كلما حبنا يتجاوز العطف . نحن مجرد نوع من الحيوانات ألأليفة، لذلك نوافق على قتلها "لتخليصها من بؤسها " عندما تعاني منه . وهناك ضغوط متزايدة في أمريكا لإضفاء الشرعية على القتل الرحيم Euthanasia (لحد الآن فقط ألمانيا وهولندا صادقوا على القتل الرحيم)، وهذا الشر ينبع أيضا من الخلط بين الحب والعطف . نحن عطوفون نحو الغرباء لكن لدينا طلبات من أولئك الذين نحبهم . إذا غريبا أخبرك أنه كان مدمنا على المخدرات، فأنت ربما ستحاول التعامل بتعقل معه وبوسيلة

لطيفة . ولكن إذا قال ابنك أو ابنتك ذات الشيء لك، ربما ستصرخ وتصرخ.

الأجداد هم عطوفون؛ الآباء هم محبون. الأجداد يقولون، "اذهب ولك وقتا طيبا ." الآباء يقولون :"اذهب ولكن لا تفعل هذا أو ذاك ."الأجداد رءوفون والآباء هم عاطفيون . والله لا يسمى مرة واحدة جدنا، بقدر ما نحن نفضل أن يكون قريبا بحيث ندعوه بالوالد الحميم الذي يحبنا . أكثر ما سمعت عنه في حياتنا هو كثيرا ما سمعت قائلا في حياتنا هو بالضبط فلسفة الجد عندما يقول لنا: "ليكن يومك لطيف". وحتى العديد من الكهنة تقدس هذه الفلسفة من خلال إنهاء القداس بهذه الجملة، على الرغم من أنه من المفترض ان يكون القداس عبادة الآب لا الجد.

إن سوء التفاهم الرابع حول الحب هو الخلط بين "الله محبة" و "الحب هو الله ". إن عبادة الحب بدلا من عبادة الله تتضمن خطأين قاتلين . الأول انه يستخدم كلمة الله فقط ككلمة أخرى للحب . ويعتقد أن الله هو قوة أو طاقة بدلا من كونه شخص. ثانيا، انه يؤله الحب الذي نعرفه بدلا من أن يظهر لنا الحب الذي لا نعرفه. لفهم هذه النقطة، اعتبر أن "أ هو ب" لا يعني ان " أ يساوي ب ". فإن كان أ يساوي ب ، حينئذ ب تساوي أ، ولكن إن أ هو ب ، وهذا لا يعني أن ب هي أ . وكذلك اذا قلنا "ذلك البيت خشب" لا يعني "الخشب هو ذلك البيت"، او ان "الملاك هو روح" لا يعني " الروح هو ملاك". وعندما نقول ان أ هو ب، فإننا نبدأ بموضوع، أ، أي نفترض ان السامع يعرف بالفعل، وبعد ذلك نضيف مسندا جديدا اليه. "الأم مريضة" تعني " انت تعلم الأم جيدا، دعني اقول لك شيئا لا تعرفه وهو انها مريضة." لذلك " الله محبة" تعني " دعني اقول لك شيئا جديدا عن الله: انه المحبة الأساسية، هو يعرف من خلال الحب..." ولكن " المحبة هي الله" تعني "ان حبك الإنساني هو الله. هذا هو الواقع في نهاية المطاف. لا تبحث اكثر عن الله سوى انه محبة اما ان المحبة هي الله فهذا هراء قاتل.

ان سوء التفاهم الخامس حول المحبة هو فكرة انك من الممكن ان تكون في حالة حب مع الحب. لا، لا تقدر، اكثر من ان يكون لك ايمان بالإيمان، أو رجاء في الرجاء، او see sight. الحب هو فعل، قوة أو طاقة، ولكن الأشخاص هم اكثر من ذلك. إن ما نحبه بالأكابيه (اي المحبة) هو الشخص فقط، حيث هناك الواقع، لأن الشخص هو صورة الله، الذي هو الحقيقة المطلقة، واسم الله *هو أنا هو*، اسم شخص. فإذا كان أي شخص يقول انه في حالة حب مع الحب، ذلك الحب ليس محبة ولكن الشعور.

سوء التفاهم السادس عن الحب هو فكرة أن "الله محبة" ليست لها علاقة اللاهوت العقائدي، خصوصا لعقيدة الثالوث. يمكن لأي شخص أن يتفق على أن "الله محبة"، على ما يبدو، ولكن الثالوث هو عقيدة متشابكة لنخبة مقصورة على فئة معينة، أليس كذلك؟ كلا. فإذا كان الله ليس ثالوث، الله ليس حبا. لأن

الحب يتطلب ثلاثة أمور: المحب، الحبيب، والعلاقة بينهما . إذا كان الله شخص واحد فقط، فإنه يمكن ان يكون الحبيب، ولكن لا يكون الحب نفسه.الآب يحب الابن والابن يحب الآب، والروح هو المحبة التي تنطلق من كليهما منذ الأزل . وإذا لم يكن الأمر كذلك فالله بحاجة الينا، وسيكون ناقصا بدوننا، اي بدون شخص يحبه. ثم إن خلقه لنا لن تكون أنانية بالكامل، ولكن أنانية، بسبب حاجته الخاصة. الحب هو زهرة، والرجاء هو ساقها .الخلاص هو النبتة الكاملة . نعمة الله، اي حياة الله الخاصة، تأتي الينا بالإيمان، مثل الماء من خلال جذور شجرة. ويرتفع فينا بالرجاء مثل النسغ من خلال الجذع . ويزهر من اغصاننا، وكفاكهة ليأكلها جارنا.

الإيمان هو بمثابة مرساة .هذا هو السبب في أنه يجب أن يكون محافظاً، حتى مثل عصا في طين . الإيمان يجب ان يتجسد (اي ان يكون هناك مؤمنين). الرجاء هو مثل بوصلة أو جهاز يقود الملاح . انه يعطينا الاتجاه ويأخذ اتجاهه قياسا الى النجوم. هذا هو السبب في أنه يجب أن يتقدم وينظر نحو الأمام تدريجيا. الحب هو مثل الشراع الذي يمتد بإتجاه الرياح؛ انه الطاقة الفعلية في رحلتنا .هذا هو السبب في أنه يجب أن تكون حراً، ومفتوحة لرياح الروح، وبسخاء.

المحبة لا دفاع لها تجاه اي اعتراض كمثل قول فرويد: "ولكن ليس كل الأشخاص يستحقون الحب". لا، هم ليسوا كذلك . المحبة تتجاوز الإستحقاق، هي وراء العدالة، ووراء العقل. العقول هي معطاة دائما من فوق إلى أسفل، ولا يوجد شيء فوق الحب، لأن الله محبة.

عندما كان بعمر ست سنوات، طلب ابني مني قائلا: "بابا، لماذا تحبني؟ "بدأت بإعطاء إجابات خاطئة، الأجوبة التي اعتقدت أنه كان يبحث عنها، فقلت: "أنت طفل كبير وجيد وذكي وقوي". وعندما رأيت خيبة أمله قررت ان اكون صادقا: آه، أنا احبك فقط لأنك ابني." فحصلت على ابتسامة واحتضان: " شكرا أبي." ومرة سألتني طالبة في صف، "لماذا يحبنا الله كثيرا؟" فأجبتها بأن ذلك هو أعظم من كل أسرار، وأنها ينبغي أن تعود لي بعد عام لمعرفة ما إذا كنت قد اجبت السؤال. و بعد عام واحد جاءت. وكانت جدية وحقا تريد جوابا. فكان عليّ أن أوضح أن هذا هو الشيء الوحيد، على الأقل، الذي لا يمكن تفسيره.

وأخيرا، هناك سر بنفس القدر المذهل من المفارقة الجوهرية للمحبة: بطريقة ما في المحبة انت تبقى بعيدا، ليس فقط وقتك أو عملك أو ممتلكاتك أو حتى جسمك . انت وضعت نفسك في يديك وتسلمها إلى آخر. وعندما تفعل هذا الشيء بلا وعي، سيحدث شيء آخر لا يمكن تصوره، اي تجد نفسك في فقدان نفسك . ستبدأ أن تكون عندما تهب نفسك بعيدا. ستجد أنه قد تم إعطاؤك نفس جديدة وأكثر واقعية مما اعطيت لك. عندما تكون معطيا تجد نفسك في ظروف سرية متلقياً للعطية التي اعطيتها سابقا.

هناك ما هو أكثر: لا شيء آخر هو حقا لك . صحتك، أعمالك، وذكاؤك الخاص، وممتلكاتك، وهذه ليست ما تبدو عليه. انها جميعا رهينة للثروة، وعلى سبيل الإعارة، ولا يعتد بها . تكتشف أنك عندما تعلم من هو الله . وجها لوجه مع الله في الصلاة، ليس مجرد مفهوم مناسب عن الله، تجد أنك لا شيء .

ويقول جميع القديسين هذا: أنت لا شيء. وكلما تقترب منه اكثر كلما تشعر بهذا، وكلما يتقلص حجمك. إن ازدريت الله، وتعتقد أنك رام كبير تقدر ان تطلق قنبلة مدفع، وإذا كنت تعرف الله، تعلم أنك لست حتى رصاصة. أولئك الذين استكبروا الله اعتقدوا انهم رقم واحد . وأولئك الذين لديهم فكرة شعبية عن الله أعتقدوا أنهم "أشخاص جيدين". وأولئك الذين لديهم مجرد عقلية عقائدية يعلمون انهم يعرفون الحقيقة ولكنهم محدودون، صنعوا على صورة الله ولكن عيبهم الخطيئة . وأولئك الذين يبدأون فعلا الصلاة يجدون أنهم، قياسا مع الله، مثل ذرات من الغبار تحت الشمس . وأخيرا، يقول القديسين انهم لا شيء . أو كما قال القديس بولس "رئيس الخطاة ." الخطاة يعتقدون أنهم قديسين والقديسين يعتقدون أنهم خطاة.

من هو على حق؟ وكيف يجوز أن نقيم هذه الرؤية إن لم يكن الله أب الأكاذيب فالقديسين على حق . إن لم تكن أقرب الى الله فأنت تخطيء نفسك. المجموعات الخمس في الفقرة السابقة (من المستهزئين إلى القديسين) شكلوا تسلسلاً هرمياً للبصيرة. ليس هناك ما هو لنا من الطبيعة . وجودنا هو محض هدية. فكر للحظة واحدة على حقيقة أنك قد خلقت، صنعت من لا شيء .إذا نحات يعطي كتلة من الرخام هدية جميلة الشكل، فالشكل هو هدية، ولكن وجود الرخام هو لا . هذا هو الرخام هو ملكه .ولكن لا شيء خاص بنا لأننا صنعنا من لا شيء .وجودنا هو هدية من الله لا لأحد، لأننا لم نكن هناك قبل أن خلقنا .لا يوجد مستقبل للهدية متميزة من الهدية نفسها .نحن عطايا الله.

حتى القديسين على حق .إذا أنا لا شيء، لا شيء هو لي أي شيء .ليس هناك ما هو لي بالطبيعة . لكن شيئا واحدا هو لي باختياري الحر: النفس ألتي عطيها في الحب .ذلك هو الشيء حتى الله لا يمكن القيام به بالنسبة لي .

انه خياري .كل ما أقوله هو لي وليس لي .ولكن كل ما أقوله هو لك وهو لي(.سي .إس. لويس C.S. Lewis)،

سأل A من خلال العديد من الكتب في مكتبته يعتقد انه ستكون له في السماء، فأجاب: "فقط تلك التي تركتها بعيدا على الأرض ولن احصل عليها أبدا ."وينطبق الشيء نفسه على أنفسنا. هو مثل الكرة في لعبة الصيد: ارميها وسوف تعود اليك .تمسك بها فتنتهي اللعبة.

نشرت في مجلة الفكر المسيحي العدد 521 لسنة 2017